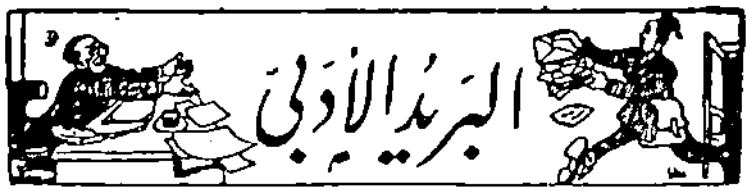

في النظم الجامعية

يحسب الناس — كما كنت أحسب مثلهم من قبل — أن أمر التعليم الجامعي الذي هو أرقى درجات التعليم المصري في بلادنا يسير على منهاج قويم لا عوج فيه لا من حيث المناهج والبرامج، فهذا ما ليس من حديثنا اليوم، ولكن من حيث النظم الادارية، ولكن من يدنو من كليات الجامعة ويذوق مرارة أعمالها يجد أنها تسير على نظم عقيمة لا تتفق مع الروح الجامعية في شيء، ويستيقن أنها وقد انقضى عشرات السنين على انشائها لاتبرح تتبع في النظم ما يتبع في المدارس الابتدائية !

فهذا طالب ينطق تاريخه الدراسي باجتهاده ونبوغه، لم يقبل بالطب البشري بالاسكندرية من أجل نصف درجة ! في علم لا يتصل بالدراسة الطبية في شيء، فشق عليه ذلك، وما كاد يعلم ان الدراسة الاعدادية بكلية طب قصر العيني عامة للبشري والأسنان معاً، وأن توزيع الطلبة فيها سيجري حسب ترتيب النجاح في امتحان هذه الدراسة حتى سارع إلى التحول إليها، ليزاحم بمنكب الجد طلابها، ولم يقنع في امتحان هذه الدراسة بأقل من درجة (جيد جدا) وهي درجة لم ينلها معه الاقليل، ومن ثم أيقن أنه بهذا التفوق قد أصبح له الحق كاملا في دراسة الطب البشري.

ولكن ما كان أشد دهشته لما وجد أن هذه الكلية تحول بينه وبين هذه الدراسة، وهاله أن يراها وهي نصبه — على تفوقه — عن هذه الدراسة قد أتاحتها للمتخلفين وراءه في النجاح من زملائه حتى الذين لم يستطيعوا أن ينالوا الأدرجة مقبول ... وما كان هذا الظلم والعنت لا لأنه كان بزعمها مقيداً بالاسكندرية على طب الأسنان — أي قبل أن يحول إليها ! كأن حسن اسلامه وصالح أعماله لم يشفعا عنه وزر الجاهلية ولا اغلالها !! وتلقاء هذا العنت والظلم لم يجد ملاذا يفزع إليه الا أن يلجأ إلى مجلس الدولة لكي ينصفه في هذا الظلم المبين.

وهؤلاء طلاب من مختلف الكليات يبلغ عددهم مئة أو يزيدون تمنعهم كلياتهم من أداء امتحانهم بحجة عدم حصولهم على نسبة الحضور التي جعلتها نظمها شرطاً لأداء الامتحان كأنهم لا زالوا أطفالا لا يختلفون إلى دروسهم إلا بعد أن ينتظموا طوابير في دخولهم وخروجهم !

هذه أمثلة من النظم الادارية التي تتبع في كليات جامعتنا المصرية في القرن العشرين ! وكأن الله لم يرد أن يذر أمر هذه الجامعة الكبيرة على ما هي عليه من تلك النظم العتيقة والقيود البالية فقيض لها أخيرا رجلا أوفى على الغاية في فقه العلوم القانونية وبلغ درجة عالية من الثقافة الذاتية ذلك هو الدكتور محمد كامل مرسي باشا فانه ما كاد يتولى أمرها حتى انشأ يعمل بعقله الراجح وفكره الثاقب على صلاح نظمها وتقويم ما أعوج من لوائحها لكي تتبوأ مكانها الذي تستحقه بين جامعات الأمم. فتراه مثلا ما كاد يعلم بأمر هذا الطالب الذي ذكرنا أمره حتى عز عليه أن ينظر أحد غيره في شأن من شئون الجامعة أو يفصل في أمر من أمورها وأسرع فأقام نفسه مقام مجلس الدولة في الفصل في قضيته وبخاصة فانه قد كان من قبل رئيسا لهذا المجلس، ولما كما هي ولم يفكر أحد أو لم ير أحد موجبا لتغييرها بتعريب أو غيره ؟

إن حياة اللغة في تراكيبها وجملها، وليس بضيرها، بل يفيدها أن تنطق وتكتب الأسماء والأعلام والمصطلحات الأجنبية كما وضعها أصحابها، فاذا قلت سمعت الراديو، أو تحدثت بالتليفون، أو قدم المستر سميث: من لندن، فانك تتكلم كلاما عربيا فصيحا لا شك في ذلك. ومن الصور العجيبة والمضحكة لذلك التشدد في اللغة، أن معلم الانشاء في المدارس لا يقبل من التلميذ أن يكتب الراديو والتليفون والسينما، فاذا وجدها في الموضوع بدل بها المذياع والمسرة والخيالة. ووزير المعارف الحالي معالي الدكتور طه حسين يكتب الراديو والتليفون والسينما، فهل يخطيء التلميذ إذا كتب مثل وزير المعارف ؟

عباس مصطفى